وهذه الأبيات من مقطوعة مصنوعة أوردها محمد بن إسحاق في (السيرة) وقال: «وقالت قُتَيْلة بنت الحارث أخت النضر ابن الحارث تبكيه» وقد استجادها حبيب — وإنها والله لجيدة — فاختارها في (حماسته).

وابن إسحق هذا هو الذي يقول فيه ابن معين — كما جاء في ميزان الاعتدال في نقد الرجال —: «ما لابن إسحق عندي ذنب إلا ما قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة والأشعار المكذوبة»

وجاء في الميزان: «قال أبو بكر بن الخطيب: روى أن ابن إسحق كان يدفع إلى شعراء وقته أخبار المغازي ويسألهم أن يقولوا فيها الأشعار ليلحقها بها» وقد نقد محمد بن سلاّم الجمحي في (طبقات الشعراء) ابن إسحق ونقل طعنه فيه السيوطي في (المزهر).

والنضر بن الحارث أسر في بدر وقتله علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) صَبْرا[1] عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالصفراء وقيل بالأُثَيل. «وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مجلساً فذكر فيه بالله وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا (والله) يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إلي، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار».

قال ابن هشام راوي خبر النضر:

«فيقال (والله اعلم) إن رسول (صلى الله عليه وسلم) لما بلغه هذا الشعر قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه».

قلت: إن الذي قيل هو من الأباطيل، فما عملت قتيلة في أخيها شعرا، ولم يقل النبي ما عزي إليه، وما كان النضر المحتشد المجتهد في هدم ذاك البناء الإسلامي الإنساني العربي حقيقاً بأن يمن ذلك الباني عليه.

(١) الصحاح: قتل فلان صبراً وحلف صبراً إذا حبس على القتل حتى يقتل أو على اليمين حتى يحلف. وفي اللسان: قيل للرجل يقدم فيضرب عنقه قتل صبراً يعني أنه أمسك على الموت. وكل من قتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ فإنه مقتول صبراً.

من خواطر جحا:

الغراب الطائر . . . !

للأستاذ كامل كيلاني

[مهداة إلى نقلة الشوائع والأخبار الذين عناهم الشاعر بقوله]:

«هم نقلوا عني الذي لم أقله به
وما آفة الأخبار إلا رواتها»

يسرنا أن ننقل إلى القراء القصة البارعة التالية من المقدمة الشائقة التي صدر بها «عبد الله جحا» خواطره وقصصه نقلا عن المخطوط الجحوي النفيس الذي عثرت عليه، ولعله مكتوب بخط صاحبه أو أحد معاصريه.

قال «أبو الفضل عبد الله دجين بن ثابت» الملقب بجحا:

«سمعت ذات يوم أن رجلا — في أقصى المدينة — تقايأ غرابا، ثم لم يلبث الغراب أن طار، وغاب عن الأنظار. فسألت مخبري عمن أخبره بهذا؟ فقال: «فلان»، فرحت إلى «فلان» أسأله جلية الخبر، فقال: «لقد رويت لصاحبي هذا الخبر، ولكنني لم أقل إن الغراب طار، بل قلت إنه سار (أي مشى)، فسألته عمن أخبره بذلك؛ فقال: «فلان»، فلما سألت فلانا أخبرني أن الغراب لم يسر ولم يطر، ولكنه وقف ساكنا، ثم مات بعد قليل. وسألته عمن أخبره بذلك فسماه لي، وما زلت أتقصى الخبر من رواته — واحداً بعد الآخر —: هذا يخبرني أنه سمع أنه لم يتقايأ غرابا، بل طائراً يشبه الغراب. وما زال الخبر يتناقص كلما تتبعته وقربت من مصدره، حتى لقيت صاحب القصة نفسه، فلما أفضيت إليه بما سمعته، وسألته عن جلية الأمر، ضحك متعجباً من تحريف الأخبار ثم قال:

«لقد تقايأت — منذ أيام — فقال أحد الحاضرين مداعباً: إن قيئك يشبه لون الغراب. وما زال الخبر ينتقل من واحد إلى آخر حتى زعم الزاعمون أنني تقايأت — كما سمعت — غرابا، ثم لم يلبث الغراب أن طار، وغاب عن الأبصار»...

(وفق الأصل)

كامل كيلاني